الموت والخلود عند الشعراء
في العصرين الجاهلي والإسلامي

د.رفاه علي نعمه العزاوي

المقدمة

إن الحياة والموت مقومان أساسيان للوجود الإنساني , وهما متكاملان لا يمكن ان يتحدد أحدهما إلا بالآخر , ومن هنا كان الموت وسيظل مشكلة وجودية قائمة ودائمة تماما كما هي الحياة , فالموت كان الهاجس الأكبر للإنسان العربي منذ إن وعى ذاته ووجوده في الحياة ومنذ ان أدرك ان ثمة نهاية للوجود وظل الموت يمثل المشكلة الكبرى التي ترهق فكر الجاهليين وتحير وجدانهم . وبسبب غياب التعليل المنطقي لمعنى الوجود بحث الجاهليون عن بدائل تجعل لوجودهم من معنى فاختاروا (اللذة) الحسية والمعنوية , وكانت النشوة التي تظهر عند الشعراء في الخمرة والفروسية والحب والكرم من علامات النصر على الموت والفناء إما حين جاء الإسلام فقد تغيرت نظرة الإنسان إلى الوجود , واخذ يعي سبب وجوده بما جاء به القرآن الكريم من عقيدة البعث والحساب فأصبح يعلم ان وجوده في هذه الدنيا زائل لأن الدنيا فانية يمهد بها لرحلة أبدية طويلة الأمد , وسيحاسب على ما قدمه من أعمال فعليه إن يتهيأ لرحلة إلى الدار الآخرة بالتقوى والعمل الصالح.

يتكون البحث من فصل واحد قسم على مبحثين درس المبحث الأول الموت والخلود عند الجاهليين إما المبحث الثاني فقد درس الموت والخلود عند الشعراء الإسلاميين بالاستعانة بدواوين لشعراء من العصرين.

وأخيرا نسأل الله تعالى التوفيق فيما حاولنا والله من وراء القصد.

الباحثة

(١)

(١)

الموت والخلود عند الشعراء الجاهليين

بين القرآن الكريم إن من عقائد العرب قبل الإسلام إنكار البعث والحساب وعدم التصديق بالحياة الآخرة , وما يكون فيها من حساب وعقاب , من ذلك قوله تعالى ((ويلٌ يؤمئذٍ للمكذِّبين ﴿ ﴾ الذينَ يُكذبون بيوم الدين)) [١] وقوله عز وجل (وضربَ لنا مثلاً ونسِي خَلقَهُ قالَ مَنْ يحي العظام وهي رميم) [٢] وقوله تعالى (وكانوا يَقولونَ أئذا مِتنا وكُنَّا تُراباً وعظاماً اءنَّا لمبعثون ﴿ ﴾ اَوَ ءَابآؤُنا الأَوَّلُون) [٣]

بل ان أشد ما صعب عليهم قبوله في الإسلام هو فكرة البعث والحياة الأخرى . فهذا عبدالله بن الزبعرى يسخر من فكرة البعث والنشور ويرثي أهل بدر من المشركين بقوله [٤]:

يخبرنا الرسول بأن سنحيا

وكيف حياة أصداء وهام

وبسبب غياب التفسير الديني لمعنى الوجود وانعدام التحليل المنطقي والعقلي لأسبابه ودواعيه لاقتصار الإنسان الجاهلي في إدراكه على المحسوسات فقد أصبح الخوف من الموت هاجساً قوياً ويمثل قلقاً مستمراً في وعي الإنسان الجاهلي وتوجهاته حتى

---

(١) المطففين (١٠-١١)
(٢) يس (٧٨)
(٣) الواقعة (٤٧ – ٤٨)
(٤) الملل والنحل : ٢٦٣/١
(٥)مشكلة الحياة ، د. زكريا ابراهيم ،مكتبة مصر ، ١٩٧١م , ص١٩٨.

أصبح هذا القلق لا سبب له ((سوى الوجود نفسه ، وهو مرض ميتافيزيقي لاعلاجله، انه لعنة التناهي التي تحل بالإنسان منذ ولادته وكأنما كتب عليه ان يموت لمجرد انه ولد))[٥]

وإن التجربة الإنسانية عندما لا ترتبط بتفسير يوضح سبب الوجود وغايته لا بد لها من الانحراف والضياع والألم , أو البحث عن بدائل تعزز الوجود وتقضي على الفقد والفناء وتضمن لذة البقاء والديمومة والاستمرار . يقول نيتشه:((إن كل لذة تريد الأبدية – تريد الأبدية العميقة))[٥] . فالحرص على الحياة أو غريزة حب البقاء هي اخص غرائز الإنسانية يقول حاتم الطائي[٦]:

تنوطُ لنا حب الحياة نفوسنا ،

شقاءً , ويأتي الموت من حيث لا ندري

إن الإنسان يرهب الموت لان الحياة تعني – في نظره – الاستمرار في البقاء , وهو يريد إن يحيا أبدا [٧] .

ولكنه يعرف إن استمرار الحياة والبقاء فيها أمر مستحيل وقد استقى ذلك من تجاربه اليومية وما يحدث لمن حوله أمام أنظاره .

قال عبيد بن الأبرص[٨]

ما نَبتغي مِنْ بَعدِ هذا عِيشَةً

إلا الخُلُودَ ولَنْ تَنالَ خُلُودا

وقال طرفه بن العبد البكري [٩]

صَباحُ الفَتى يَنْعى إليهِ شَبابَهُ

وما زالَ يَنعاهُ إليهِ مَساؤهُ

ويَبكي على الموتى ويَتْرُكُ نَفْسَهُ

ويَزعُمُ أَنْ قد قلَّ عَنهم عناؤُهُ

إقترن الإحساس بالزمن بالاحساس بالفناء فالوجود هو الوجود الزماني[١٠]، ((ولان الوجدان العربي الجاهلي يؤمن بفناء الإنسان اي بهامشية وجوده في الكون لذلك كان الدهر المقولة التي تقوم عليها كينونته – ووجوده في العالم))[١١] فالدهر في نظرهم قوة قاهرة تهيمن على الحياة ، وتهلك الناس ، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ((وقالوا ما هي إلا حَياتُنا الدُنيا نَموتُ ونحيا وما يُهلِكنا إلا الدهرُ وما لهم بذلكَ من علمٍ إن هُم إلا يظُنُّون))[١٢]

---

(٥)الزمن في الأدب ، هانزمايوهوف ، ترجمة د. اسعد رزق ، مراجعة العوضى الوكيل ، مؤسسة سجل العرب ،١٩٧٢م.ص٦٦.

(٦) الديوان : ٣٧

(٧)مشكلة الحياة : ١٩٧

(٨) الديوان : ٧٠

(٩) الديوان : ٢٧

(١٠) الأدب الجاهلي قضايا وفنون ، د. حسني عبد الجليل يوسف ، مؤسسة المختار ، ط٢ ، ٢٠٠١ ، ص٢٧٢.

(١١) فلسفة الشعر الجاهلي دراسة تحليليه في حركية الوعي الشعري العربي , د. هلال الجهاد , دار المدى , دمشق – سوريا , ط١, ٢٠٠١م.ص١٧٥

(١٢)الحاثية (٢٤)

((فالدهر في ثقافة الشعراء الجاهليين معادلا للقوة الغيبية التي تعطل نشاط الإنسان فيقف امامها مسلوب الإرادة)) [١٣] وهو قوة تدميرية جبارة لا يصمد إمامها شئ مهما كان حصيناً ومنيعاً [١٤] ,

١

وقد عبرت عن ذلك صفية الباهلية بقوله[١٥]ا :

أخنى على واحدي ريب الزمانِ وما

يَبقي الزمان على شئ وما يذر

((فهو الإله الذي يوصل الأشياء إلى نهايتها , وهو طاقة تحدث الموت والفناء والاندثار))[١٦].

قال زهير[١٧]:

بَدا لي أنْ الناسَ تَفْنَى نُفوسُهم

وأموالُهم ولا أرى الدهرَ فانِيَا

وقال امرؤ القيس[١٨]

الَم يحزُنك أنَّ الدهرَ غُولٌ

خَتُوْرُ العَهدِ , يَلتهِمُ الرِّجالا

أَزالَ مِنَ المَصَانِعِ ذا نُوَاسٍ

وقد مَلَكَ الحُزونَةَ والرِّمالا

فيصور الشاعر الدهر بأنه غول , ختور العهد , يلتهم الرجال فهم ينسبون اليه الأفعال وكأنه المسؤول عما يحدث.

وقال أيضا[١٩]:

أرانا مُوضِعينَ لأمرِ غَيبٍ

وَنُسحَرُ بالطَّعامِ وبالشَّرابِ

وأدرك الجاهلي بفطرته إن كلَّ يومٍ يمر عليه يمثل اقترابا من النهاية . قال حاتم الطائي[٢٠]:

يَسعى الفتى وحِمامُ الموّتِ يُدرِكُهُ

وكلُّ يومٍ يُدّني , للفتى , الأجّلا

كما ان الحياة وما يرتبط بها من نعمة وسعادة , وهي متعة عابرة لا بد ان تزول

قال الأفوه الاودي [٢١]:

---

(١٣)جماليات التحليل الثقافي , الشعر الجاهلي نموذجاً , د. يوسف عليمات , دار الفارس للنشر , عمان , ط١ , ٢٠٠٤م .ص١٨٩

(١٤)مقالات في الشعر الجاهلي , يوسف اليوسف , دار الحقائق , بيروت – لبنان , ط٤ , ١٩٨٥م. ص٦٠

(١٥) ديوان الحماسة :٢٧٠

(١٦) فلسفة الشعر الجاهلي :٣٢

(١٧) ا لديوان :٢٨٥

(١٨)الديوان : ٢٣٣/٢

(١٩)المصدر نفسه : ٢٤٩/٢

(٢٠)الديوان : ٥٠

(٢١) الديوان :٧٣

إنَّما نِعمةُ قومٍ مُتْعةٌ

وحياةُ المرءِ ثوبٌ مستعارُ

ولَياليه إلال* للقُوَى

من مُداه تَختليها وشِفارُ *

وكردة فعل على حتمية الموت واستحالت البقاء بحث الشعراء الجاهليون عن بدائل تعزز وجودهم وتظهر قدرتهم على قهر الزمن والانتصار عليه والوقوف بوجه العدم

والفناء تمثلت بالنزوع نحو الإغراق في طلب (اللذة) الحسية والمعنوية ((ذلك ان تحقيق الوجود لا يتم إلا بخلق عوالم بديلة , تحضر فيها الذات , للدفاع عن وجودها في حق ممارسة المتعة ، بعد استبعاد رموز القهر والفناء))[٢٢].

.فامرؤ ألقيس يجعل من الفناء انطلاقا للإقبال على الحياة وملذاتها ، ويقابله باغتراف غير محدود من متع الدنيا فيقول[٢٣] :

تَمَتَّع مِنَ الدنيا فانك فانٍ،

مِن النَّشوَاتِ والنِّساءِ الحِسَانِ

مِنَ البيض كالآرامِ ، والأُدم كالدمى

، حواصِنُها والمُبرقات روانِ

يحاول الإنسان الجاهلي الإمساك باللحظة الآنية المتمثلة بالحاضر والهروب في تفكيره بعيدا عن الماضي أو المستقبل ، فيكون الحاضر هو النقطة التي ينطلق منها لتحقيق انتصاره الوجودي ، ((ويتمثل احتواء الحاضر في بحث الشاعر عن المتعتين : الجسدية المتمثلة باللهو والعبث والمجون , والمعنوية المتمثلة بالمجد والمروءة[٢٤].))

فهذا طرفة بن العبد يرى الحياة ما دامت قصيرة وما دام الإنسان لن ينال خلودا فِيها ، فعليه إن يلقي بنفسه في ملذاتها ،

فيواجه استحالة الخلود بالإقبال على الحياة اللاهية ومتعها فيقول[٢٥] :

فَلولا ثلاثٌ هُنَ مِنْ عيشة الفتى

وجدكَ لَمْ احفلُ مَتى قامَ عودي

فَمنهنَ سَبقي العاذلاتُ بَشربةٌ

كميتٍ ، مَتى ما تَعل بالماءِ تزبدِ

وَكري إذا نادى المضاف* محنباً

كَسيد الغضا – نبهته – المتوردِ

وتقصير يوم الدجن والدجن* معجب

ببهكنة تحت الطراف المعمد

---

* الإلال : مفردها الألة , وهي الحربة ، او جميع أدوات الحرب , المُدى : مفردها المدية وهي الشفرة الكبير
* شفار : مفردها شفرة , وهي السكين العظيمة . تختليها : تقطعها.

(٢٢)الخطاب الشعري الجاهلي رؤية جديدة ، د. حسن مسكين ، الدار البيضاء ، المغرب، ٢٠٠٥ م ، ص١٠٤.
(٢٣) الديوان : ١٠١/١
(٢٤)الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، عبد الإله الصانع ،دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨٢م ، ص٢٤٩

- المضاف : الملتجى ، محنيا ، محني الذراع وهو صفة لموصوف محذوف وهو الحصان ،السيد : الذئب
- الدجن : العتمة والغيم ، البهكنة : المرأة الجميلة الممتلئة الجسم.

(٢٥) الديوان : ٦٣-٦٤

((فالشاعر حريص على ان يسبق العاذلات الى الملذات لإيمانه بحتمية الموت التي تضع حداً لكل شئ))[٢٦] ، ((فيميل إلى اقتناص لذة الحياة خوفاً من ضياعها ويأساً من دوامها فلعل في تحقيق "اللذة" انتصاراً على الموت الذي هو نهاية الوجود))[٢٧] ويرى الإنسان الجاهلي في النشوة ما ينسيه فكرة الموت التي تخيم بظلالها السوداء وتهدد وجوده ((ويؤمن بأنه لا يعيش إلا حياة واحدة يحسن بها إن يستغلها في طلب المسرات ورفقة الندماء بعيدا عن الألم والهم)) [٤].

قال اوس بن حجر[٢٨]:

قاتَلها الله تلحاني وقد عَلمتْ

إني لنَفسي إفسادي وإصلاحي

إنْ اشربِ الخمرَ أو ارزأ لها ثمناً

فلا مُحالة يوما إنَني صاحي

ولا مُحالة مِنْ قبرٍ بمحنيةٍ

وكَفَنٍ كسراةَ الثورِ وضّاحِ

والخمرة باعث كرم وشجاعة في وعي الإنسان الجاهلي . قال عمرو بن كلثوم[٢٩]:

تَرى اللَّحِزَ الشحيح إذا أُمِرَّتْ

عليه لمالهِ فيها مهينا

وتمثل المرأة الطبيعة والزمن والوجود وتسمو على الزمن وهي رمز الجمال الذي لا يذوي , والشباب الأبدي الذي لا يزول [٣٠] وهي واهبة الحياة ، وضامنه استمرار النسل , فلا تدع العدم يحيق بالوجود ، لأنها أصل الحياة[٣١].

قال الأعشى[٣٢] :

كأنها دُرّة زهراء اخرجها

غواص دارين* يخشى دونها الغرقا

قد رامها حججاً , مُذ طر شارِبه

حتى تسعسع* يرجوها وقد خفقا

ويمكن إن نلاحظ الإشارة الى الخصب ، وعلامات الحياة في حديث الشاعر عن المرأة .

---

(٢٦)دراسات في الشعر الجاهلي والإسلامي ، د. حمدي محمود منصور ، دار الفكر ، عمان – الأردن ، ط١ ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م ص٢٩ .

(٣) هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الاموي ، عبد الرزاق خليفة الدليمي ، آفاق عربية ، بغداد ، ط١ , ٢٠٠١م ، ص١٠٦-١٠٧

(٤) دراسات في الشعر الجاهلي ، د. حمدي محمود منصور : ٢٩

(٢٨) الديوان : ١٤

(٢٩) المصدر نفسه :١٢٩

(٣٠) ينظر : بنية القصيدة الجاهلية ، الصورة الشعرية لدى إمرئ القيس ، د. ريتا عوض , دار الآداب , بيروت – لبنان ,ط١ , ٢٠٠٨م,ص٣٢٧

(٣١) ينظر : هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي :٢١٢

- تسعسع : شاخ وهرم

(٣٢)الديوان: ١٨٩

قال الاعشى [٣٣]:

هركولة* مثل دعص الرمل اسفلها

مكسوة من جمال الحسن جلبابا

وقال طرفه [٣٤]:

بادن تجلو اذا ما ابتسمت

عن شتيتٍ ، كأقاح الرمل غُرّ

ففي الوقت الذي يسبب فيه الزمن الموت والعجز والفناء تأتي المرأة فتمنح الحياة و الخلود

قال الأعشى [٣٥]:

من نالها نال خلدا لا انقطاع له

وما تمنى , فاضحى ناعما انقا

فالعلاقة بين الموت الذي يمثل النهاية والفناء والمرأة التي تمثل الأمن والاستمرار والبقاء علاقة ضدية تناقضية.

إما اللذة المعنوية فتتمثل من خلال ممارسة ((القيم النبيلة)) وتحاول الذات من خلال هذه القيم الخروج من العالم الضيف المحدود والمصير المحتوم المتمثل بـ(الموت/الفناء) لتوحد قدرتها الفعلية على قهر العجز والقصور لأن هذه القيم قد خلقت ذاتاً قادرة على التميز والتفرد والنمذجة , وملكت القدرة على الوقوف أمام تحديات الزمن ، وبذلك يكون الشاعر قد امسك بأسباب الكمال والخلود واستطاع قهر الموت وضمن استمرار وجوده على الرغم من فناء جسده .

قال حاتم الطائي [٣٦]:

اماوي: ان المال غاد ورائح،

ويبقى من المال الأحاديث والذكرُ

اماوي : اني لا اقول لسائل

اذا جاء يوما ، حلّ في مالنا نزرُ

أماوي : اما مانع فمبين

وانما عطاء لا ينهنه الزجرُ

اماوي : ما يغني الثراء عن الفتى

إذا حشرجت نفس وضاق بها الصبرُ

هذه الفلسفة تقوم على الإسراف في البذل والعطاء وانتهاز الحياة فرصة لتخليد الذكر وبناء المجد بالكرم , ولأنه يخشى الموت والفناء ويسعى إلى البقاء والخلود ، لذلك اتخذ الإقبال على الحياة بالبذل والإنفاق طريقا للوصول إلى هدفه.

قال عروة بن الورد[[٣٧]]:

ذريني ونفسي ،ام حسان ، انني

بها , قبل ان لا املك البيع , مشتري

---

*دارين منطقة هركولة: كبيرة الآرداف , دعص الرمل :كثيب الرمل المتموج ,الجلباب : الثوب الفضفاض

([٣٣])الديوان :٢٠

([٣٤]) الديوان:٧٨

([٣٥])الديوان : ١٨٩

([٣٦]) الديوان :٢٩

([٣٧]) ديوان الصعاليك :٨١

أحاديث تبقى , والفتى غير خالد

اذا هو امسى هامة فوق صير

فالذين يسعون إلى التميز والتفرد في الوجود ويبحثون عن الحياة السامية والذكر الحميد يفنون حياتهم بالإعمال الخالدة التي تضمن لهم الحمد والثناء في الحياة وبعد الموت وتحقق الوجود الأبدي.

أو إن يزحف الشاعر إلى الموت بنفسه ويدعوه للإقبال عليه ما دام الموت واقعا لا محالة , فليطلب الموت سبيلا للبطولة وبناء المجد وتخليد الذكر .

قال عنتره [٣٨]:

بكرت تخوفني الحتوف كأنني

اصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها : ان المنية منهلٌ

لابد ان اسقى بكأس المنهل

فاقني حياءك لا ابالك واعلمي

انني امرؤٌ سأموتُ ان لم أُقتل

((وتمنح الفروسية الشاعر شعورا بأنه قادر على الثبات إمام جريان الزمن)) [٣٩] , كما أنها تعطي القدرة على مواصلة الحياة الفانية لان الفناء الذي ينتظره انتصر عليه بما حققه من بطولات وأمجاد وتخليد الذكر

((فهذا الإيمان الذي لا يتزعزع بحتمية الموت يدفع الشاعر إن يختار البطولة قيمة جمالية , وفعلا اجتماعياً يباشر من خلاله صياغة هويته الوجودية))[٤٠]

قال عنترة [٤١]:

وإذا الجَبانُ نَهاكَ يَومَ كَريهَةً

خَوْفا عَليكَ مِنْ ازدحامِ الحجفلِ

فاعصِ مَقالته ولا تَحفلُ بها

وأقدمُ إذا حَق اللِقا في الأولِ

واختَرْ لِنَفسِكَ مَنزلاً تَعلو بِهِ

أو مُتْ كَريماً تَحْتَ ظِلِ القُسَطلِ

فالموتُ لا ينجيك من آفاته

حصنٌ ولو شَيدتهُ بالجندل

---

(٣٨) الديوان : ٤٠/١

(٣٩) الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام : ٢٥٩

(٤٠)في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي ، د . احمد محمود خليل ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ص١٢٩.

(٤١) الديوان :١٨٥/٢

مَوتُ الفتى في عزةٍ خيرٌ لهُ

مِنْ إن يبيت أسيرَ طَرفٍ أكْحلِ

((فهو يسوغ مخاطراته وغاراته بأن الموت حتمي لا يسلم منه احد وان الحياة العظيمة التي ينشدها والخلود الذي يطلبه ويسعى إليه يدفعه الى المخاطرة والمواجهة))[٤٢] .

قال عروة بن الورد[٤٣]:

أرى ام حسان الغداة تلومني

تخوفني الاعداء , والنفس اطوف

تقول سليمى : لو أقمت لسرنا

ولم تدر , إني للمقام أطرف

لعل الذي خوفتنا من إمامنا

يصادفه في أهله المتخلف

فهو يبحث عن ميتة شريفة في سوح الوغى ليكسب بها مجداً ورفعة وكرامة تخلد ذكره وتبقيه أحاديث على مر الزمان.

ومن خلال ما سبق ذكره يمكننا ان نعبر عن الموت والخلود عند الجاهلين بالمخطط الآتي:

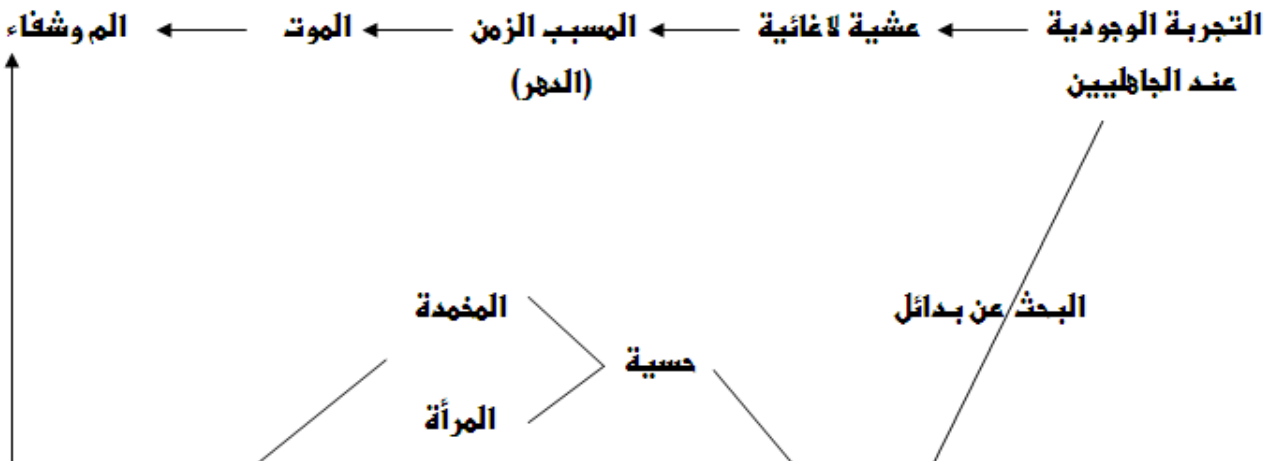

(٤٢)
(٤٣)

(٣)

الموت والخلود عند الشعراء الإسلاميين

بقي الإنسان الجاهلي في حيرة من أمره لا يعي للوجود من معنى ولا يعرف حلاً لهذا اللغز الكبير , حتى جاء الله سبحانه وتعالى بالإسلام الذي كان ظهوره حدثاً كبيراً في حياة العرب , فوضح القرآن الكريم للعرب وللإنسانية كلها حقيقة الوجود , وذلك بما قدمه من حقائق عن ((عقيدة المعاد)) ((ويوم الحساب)) فالناس جميعاً يبعثون بعد موتهم في يوم الحساب ليحاسبوا على ما قدمته أيديهم من أعمال قال تعالى : ((ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيتُون ﴿ ﴾ ثُمَّ إِنَّكُم يَومَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ)) [٤٤] وقال تعالى : ((فَمَن يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خيراً يَرَهُ ﴿ ﴾ ومَنْ يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ))[٤٥] وبذلك يكون الإسلام قد قدم تجربة وجودية ثانية مناقضه للتجربة الجاهلية تتجاوز العبثية واللاغائية الى الغائية والقصدية في النظر إلى الوجود.

((ارتقى الإسلام بعقل الإنسان ودعاه إلى التأمل والتفكير في معرفة من أنشأ الكون ودبر نظامه)) [٤٦] , لينتهي إلى الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى وقدرته على البعث والنشور قال تعالى : ((وَيَتَفَكَّرُون في خَلقِ السَمَوَاتِ والأرضِ رَبَّنَا ما خَلَقتَ هذا بَاطِلاً سُبحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)) [٤٧] وقال تعالى ((كَمَا بَدَأنَا اَوَّلَ خلقٍ نُعِيدُهُ وَعداًعَلَينَا إنا كُنَّا فاعلين))[٤٨] إن الحياة الدنيا رحلة قصيرة وهي مرحلة اختبار يمهد بها الإنسان لرحلة أبدية نحو النعيم الأبدي او الشقاء الدائم .

((ولم يعد الزمن ينتهي بالموت ، وليس هناك فناء ، بل هناك زمان ليس له نهاية ، ووجود غير متزمن بالزمن))[٤٩] وهناك حياة أُخرى وحساب , فالموت ليس بعدم محض انما هو انتقال من حالٍ الى حال. ولذلك تهافت المسلمون على الدين الإسلامي وهم على قناعة تامة بأن الالتزام بمبادئه والتمسك بما امر به والابتعاد عمّا نهى عنه هو.

الطريق الوحيد إلى الخلود في النعيم الآخرة .

قال حسان بن ثابت [٥٠]:

لأنّ ثَوابَ اللهِ كلَّ مُوَحِّدٍ

جنانٌ من الفِردَوسِ ، فيها يُخَلَّدُ

وقال أيضا في قصيدة يمدح الرسول (ص) [٥١]:

---

(٤٤) المؤمنون (١٥، ١٦)
(٤٥) الزلزال (٨،٧)
(٤٦)تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ط١٧ ، ١٩٦٣م ، ص١٥
(٤٧) ال عمران (١٩١)
(٤٨) الأنبياء (١٠٤)
(٤٩)الزمن في الشعر الجاهلي ، د.عبد العزيز محمد شحاده ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الاردن ، ١٩٩٥م ، ص٦١.
(٥٠) الديوان :١٥٤

وأنْتَ إلهَ الخَلْقِ رَبّي وخالِقي

بذلكَ ما عُمّرْتُ في الناس أشْهَدُ

تعالَيْتَ رَبَّ الناسِ عن قَوْل من دَعا

سِوَاك إلهاً ، أنت اعْلَى وأمْجَدُ

لكَ الخَلقُ والنَّعماءُ ، والأمْرُ ، كلُّهُ

فإيّاكَ نَسْتَهدي ، وإيّاكَ نَعْبُدُ

فالمرءِ يرحل عن هذه الدار الزائلة لا محالة ، لأن الله تعالى قد كتب بحكمته الموت على كلّ إنسان ، ولا ينجو منه أحد مهما كان ، وعلى الراحل ان يتزود قبل الرحيل ، وان خير الزاد التقوى .

وأخذ الشعراء يصدرون في شعرهم عن قيم الإسلام الروحية التي أمنوا بها وصدقوها وأصبحت مصدر إلهامهم فهذا عبد الله بن رواحة يقرر علمه اليقيني بالحشر ويوم الحساب ويتمثل ذلك الموقف الرهيب بقوله [٥٢]:

وأعلم عِلْماً ليس بالظنّ أنني

إلى الله محشورٌ هناك وراجِعُ

وتغلغل الإسلام في ضمير لبيد حتى أصبحت روح الإسلام ماثله في أشعاره التي اتجه بها إلى ربه وقد ملأ الخوف والفزع قلبه من يوم القيامة ذلك اليوم الذي سيحاسب فيه فيقول [٥٣]:

إنّما يَحْفَظُ التُّقَى الأبْرارُ

وإلى اللهِ يَستَقِرُّ القَرارُ

وإلى اللهِ تُرْجَعُونَ وعِنْدَ

اللهِ وِرْدُ الأمُورِ والإصْدارُ

كُلَّ شيءٍ أحصَى كِتاباً وعِلْماً

ولَدَيْهِ تَجَلَّتِ الأسْرارُ

فهو يتحدث عن التقوى والأبرار والعمل الصالح وان الموت حق وصدق وعلى كل إنسان إن يعمل لنفسه ويفكر في مصيره ودار إقامته.

وكانت روح الإسلام ماثلة بشكل واضح فيه عينيته التي يقول فيها[٥٤] :

بَلِينا وَما تَبلَى النّجومُ الطوالِعُ

وتَبْقَى الجِبالُ بَعْدَنا والمَصانِعُ

وَقَد كنتُ في أكنافِ جارِ مَضِنَّةٍ

فَفارَقَني جارٌ بأرْبَدَ نَافِعُ

([٥١]) المصدر نفسه :٨٣
([٥٢]) الديوان :٩٦
([٥٣]) الديوان :٧٦
([٥٤]) الديوان :٨٨

فلا جَزِعٌ إنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنا

وكُلُّ فَتىً يَوْماً به الدَّهْرُ فاجِعُ

وما النّاسُ إلاَّ كالدّيارِ وأهْلها

بِها يَوْمَ حَلُّوها وغَدْوا بَلاقِعُ

وما المَرْءُ إلاَّ كالشِّهابِ وضَوْئِهِ

يَحُورُ رَماداً بَعْدَ إذْ هُوَ سَاطِعُ

وبذلك شعر الإنسان المسلم بالأمن النفسي الذي جاء به الدين الإسلامي من التسليم للقضاء والقدر , والإيمان بوجود خالق للكون ومنظم له يوجد من يشاء بحكمته وينهي وجود من يشاء بحكمته.

قال لبيد [٥٥]:

إنَّ تَقْوَى رَبِّنَا خَيْرُ نَفَلْ

وبإذْنِ اللهِ رَيْثي وعَجَلْ

أحْمَدُ اللهَ فَلا نِدَّ لَهُ

بيَدَيْهِ الخَيرُ ما شاء فَعَلْ

مَنْ هَداهُ سُبُلَ الخَيرِ اهْتَدَى

ناعِمَ البَالِ ومَنْ شَاءَ أضَل

((فيقف في هذه الأبيات واعظاً ومخوفاً من الموت ومن يوم الحساب ، وداعياً الى التقوى والعمل الصالح ومهوناً من الدنيا ومتاعها الزائل ونعيمها الفاني)) [٥٦]

والجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة , ومن الذين اجتذبهم ألق الجهاد فصموا آذانهم عن كل دعاء إلا دعوة الله تعالى النابغة الجعدي حيث قال [٥٧]:

([٥٥]) الديوان : ١٣٩.

([٥٦])الادب الإسلامي ، د. صباح نوري المرزوك , دار الصفاء , عمان , ط١ , ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م .,ص١٦١

بَاتَتْ تُذَكِّرُنِي باللهِ قاعِدَةً

والدَّمْعُ يَنْهَلُّ من شأنَيْهَما سَبَلا

يا بنَةَ عَمِّي كِتَابُ اللهِ أخْرَجَني

عَنْكُمْ وَهَلْ أمْنَعنَّ اللهَ ما فَعَلا

فإنْ رَجَعْتُ فَرَبُّ النَّاسِ يُرْجِعُنِي

وإنْ لَحِقْتُ بِرَبِّي فابْتَغي بَدَلا

وطبع شعره بما طبعت به النفوس المؤمنة ، بوجود الله سبحانه والحرص على الفوز بما وعد به و الاستسلام لقضائه , فيقول (٥٨):

الحَمْدُ للهِ لا شَرِيكَ لَهُ

مَنْ لَمْ يَقُلْهَا فَنَفْسَهُ ظَلَما

المُولجِ اللّيلَ في النّهارِ

وفي اللّيلِ نَهاراً يُفرّجُ الظُّلَمَا

الخَافِضِ الرّافِعِ السَّمَاءَ عَلَى الْ

أرْضِ ولم يَبْنِ تَحْتَها دِعَمَا

ويدلل على صحة البعث والنشور والاجتماع يوم القيامة للحساب فيقول(٥٩) :-

ثُمَّتَ لابُدَّ أنْ سَيَجْمَعُكُمْ

واللهِ , جَهْراً , شَهَادَةً قَسَمَا

فائتمِرُوا الآن ما بَدَا لَكُمُ

واعتَصِمُوا إنْ وَجَدْتُمُ عِصَما

في هذهِ الأرضِ والسَّمَاء وَلاَ

عِصْمَةَ مِنْهُ إلاَّ لِمَن رَحِمَا

---

(٥٧) الديوان :١٣٧-١٣٨
(٥٨) الديوان : ١٤٧-١٤٨
(٥٩) المصدر نفسه :١٤٨-١٤٩

((ويرى كعب بن مالك إن النصر الذي أحرزه المسلمون إنما هو نصر للحق و الدين لأن إرادة الله اقتضت ذلك فيقول راداً على الأعداء))[٦٠] :

عجبتُ لأمرِ اللهِ واللهُ قَادِرُ

على ما أراد , لَيْسَ للهِ قَاهرُ

قضَى يَوْمَ بدرٍ أن نلاقيَ معشراً

بَغَوْا وسَبِيلُ البَغْيِ بالناسِ جائِر[٦١]

ومهما تحشد الكفار من أجل التصدي للدعوة الإسلامية ومنعها فإن إرادة الله سبحانه وتعالى لابد ان تتحقق فيقول [٦٢]:

فَلمَّا لَقَيْناهُم وكلُّ مُجَاهدٌ

لأصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْسِ صَابِرُ

شَهِدْنا بأنَّ الله لا رَبَّ غَيْرُهُ

وأنَّ رسولَ اللهِ بالحقِّ ظَاهِرُ

وحتى الرثاء فقد سخر لصالح العقيدة الاسلامية , وكانوا يمزجون الرثاء بثواب الآخرة ، والتنعم بجنات الخلد .

قال كعب بن مالك في شهداء أحُد [٦٣]:

(٦٠) الامالي في الادب الاسلامي ، د. ابتسام مرهون الصفار ، لبنان – بيروت ، ط١ . ٢٠١١ م ، ص٥٢
(٦١) الديوان :٤٦
(٦٢) المصدر نفسه : ٤٦

- الأضوج : مكان قرب جبل احد بالمدينة

(٦٣) الديوان :٣٣

وقَتْلاهُمُ في جنانِ النَّعيمِ

كِرامُ المداخلِ والمَخْرَجِ

بما صَبَروا تَحْتَ ظِلِّ اللّواء

لواءِ الرسولِ بذي الأضْوَجِ*

فما بَرِحُوا يَضْرِبُون الكُماةَ

ويمِضونَ في القَسْطلِ المرْهجِ

كذلِكَ حَتّى دَعَاهُمْ مَلِيكٌ

إلى جَنَّةٍ دَوْحَةِ المُولِجِ

وقال حسان بن ثابت في رثاء أهل مؤتة وما وعدوا فيه من الشهادة (٦٤):

فَطَاَعَنَ حتّى ماتَ غَيْرَ مُوَسَّدٍ

بمُعْتَرَكٍ , فيهِ القَنَا يَتَكَسّرُ

فَصَارَ مَعَ المُسْتشْهدينَ ثوابُهُ

جنانٌ , ومُلْتَفُّ الحَدائقِ , أخْضَرُ

وهكذا كان المسلمون يواجهون الموت ويتخلون عن الوجود , بروح مؤمنة لا تجزع لأن الموت حق , ولكل أجلٍ كتاب , فليس أمامهم إلا التسليم والإيمان بالقضاء

ومن خلال ما سبق يمكننا ان نوضح الموت والخلود في العصر الإسلامي بالمخطط اللآتي:

الحياة في الاسلام ← **غائبة هادفة** ← **التقوى والعمل الصالح** | **المسبب للموت الله سبحانه وتعالى** | **الموت** | **الجنة والنعيم**

(٦٤) الديوان:١٦٦

الخاتمة

ومن خلال هذه الدراسة يمكننا ان نصل الى ان التجربة الوجودية عند الشعراء في العصريين الجاهلي والإسلامي كانت تتصف بما يلي :

١- تمثل الموت والخلود عند شعراء العصر الجاهلي بالالتحام الطبيعي بالوجود , وعدم القدرة على التحرر منه , وذلك بسبب غياب التفسير الديني الذي يوضح حقيقة الوجود وغائيته.
٢- كانت الظاهرة الحياتية عند شعراء العصر الجاهلي تتصف باللاغائيه والعبثية.
٣- الفكرة السائدة عند الشعراء الجاهليين إن الموت واقع لامحالة ولابد من مغادرة الوجود لان الموت لايمكن لأحد إن ينجو منه .
٤- وقبل ان يقع بالفعل ويقع المرء في شباكه بحث الشاعر الجاهلي عن بدائل تعزز وجوده وتساعده على قهر الموت وتهزم شعوره بالفناء , فكانت هذه البدائل تتمثل بالنزوع نحو الملذات المادية والمعنوية.
٥- كانت النشوة التي تظهر على الشعراء الجاهليين في الفروسية والبطولة والحب والكرم والمروءة من علامات النصر على الموت.
٦- قدم الإسلام تجربة جديدة عن الموت والخلود مناقضه للتجربة الجاهلية تمثلت بتجاوز العبثية في الأحساس بالوجود إلى الغائية والحكمية.
٧- بصر الإسلام العرب والإنسانية جميعاً بحقيقة المعاد التي كشفت لغز الوجود ووصححت مساره بما قدمته من أدلة عن البعث والحساب والثواب والعقاب.
٨- شعر المسلم بالأمن النفسي الذي جاء به الدين الإسلامي من التسليم بالقضاء والقدر ، ووجود خالق للكون ومنظم له يوجد من يشاء بحكمته وينهي حياة من يشاء بحكمته.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الأدب الإسلامي ، د. صباح نوري المرزوك ، دار الصفاء ، عمان ، ط١ ، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م .

٢- الأدب الجاهلي قضايا وفنون ، د. حسني عبد الجليل يوسف ، مؤسسة المختار ، ط٢ ، ٢٠٠١م .

٣- بنية القصيدة الجاهلية ، الصورة الشعرية لدى أمريء القيس ، د. ريتا عوض ، دار الآداب ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

٤- تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر- القاهرة ، ط١٧ , ، ١٩٦٣م .

٥- جماليات التحليل الثقافي ، الشعر الجاهلي نموذجاً ، د. يوسف عليمات ، دار الفارس للنشر ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٤م .

٦- الخطاب الشعري الجاهلي رؤية جديدة ، د. حسن مسكين ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠٠٥م .

٧- دراسات في الشعر الجاهلي والإسلامي ، حمدي محمود منصور ، دار الفكر ، عمان – الأردن ، ط١ ، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م .

٨- ديوان الأعشى ، شرح د. يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ٢٠٠٥م ، ١٤٢٥هـ .

٩- ديوان الأفوه ألأودي ، شرح وتحقيق محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م .

١٠- ديوان أمريء القيس ، دار نوبليس ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥م.

١١-ديوان اوس بن حجر ، تحقيق د. محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م .

١٢-ديوان حاتم الطائي ، دار نوبليس ، بيروت – لبنان ، ٢٠١١م .

١٣- ديوان الحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم ، شرح مجيد طراد ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ -١٩٩٨م .

١٤-ديوان حسان بن ثابت، شرح د. يوسف عبد ، دار الجيل ، بيروت ، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٥- ديوان الحماسة ، أبو تمام حبيب بن اوس الطائي ، تحقيق عبد المنعم احمد صالح ، دار الرشيد للنشر ،١٩٨٠م .

١٦- ديوان الصعاليك ، شرح د. يوسف شكري فرحات ، دار الجيل ، بيروت ٢٠٠٤م .

١٧- ديوان طرفة بن العبد ، شرح عبد القادر محمد ماريو، دار القلم العربي ، ط١، ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

١٨- ديوان عبد الله بن رواحة الأنصاري الخزرجي ، دراسة وجمع وتحقيق د. حسن محمد باجوده ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٢٠م .

١٩- ديوان عبيد بن الأبرص ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٢٠- ديوان عنتره بن شداد ، دار بوبليس ، بيروت – لبنان ، ٢٠١١م .

٢١- ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، تحقيق وشرح مجيد طراد ، دار صادر ، بيروت – لبنان, ط١ ، ١٩٩٧م.

٢٢- ديوان لبيد بن ربيعة ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

٢٣- ديوان النابغة الجعدي ، تحقيق د. واضح الصمد ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٨م.

٢٤- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام ، عبد الإله الصانع ، دار الرشيد للنشر ، العراق ، ١٩٨٢م.

٢٥- الزمن في الأدب ، هانز مايوهوف ، ترجمة د. اسعد رزق ، مراجعة العوض الوكيل ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٧٢م.

٢٦- الزمن في الأدب في الشعر الجاهلي ، د. عبد العزيز محمد شحاده ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الأردن , ١٩٩٥م .

٢٧- فلسفة الشعر الجاهلي دراسة تحليليه في حركية الوعي الشعري العربي ، د. هلال الجهاد ، دار المدى ، دمشق – سوريا ، ط١، ٢٠٠١م.

٢٨- في النقد الجمالي رؤية في الشعر الجاهلي ، د . احمد محمود خليل ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م..

٢٩- مشكلة الحياة ، د. زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، ١٩٧١م.

٣٠- مقالات في الشعر الجاهلي ، يوسف اليوسف ، دار الحقائق ، بيروت – لبنان ، ط٤ ، ١٩٨٥م.

٣١- الملل والنحل ، للإمام أبي الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني ، صممه وعلق عليه الأستاذ الشيخ احمد فهمي محمد ، دار السرور و بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م.

٣٢- هاجس الخلود في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي ، عبد الرزاق خليفة الدليمي ، آفاق عربية ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠١م.